

أبو الطيب المتنبي

للأستاذ بلاشير ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني ص ٦١٨
من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الأستاذ عدنان مردم بك

أجمع نقدة الشعر ، وأئمة البيان العربي ، في القديم والحديث ،
على أن الشعراء الذين لهم حق الصدارة دون منازع ، ثلاثة وهم : أبو تمام
والبحتري وأبو الطيب المتنبي .

واختلف الأئمة فيما بينهم ، وما زالوا يختلفون ، في أي الثلاثة منهم ،
كان الأشعر ، غير أن الأمر الذي لم يختلف عليه أحد من الناس ، أن
المتنبي هو العلم الفرد ، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .

إن الكتب التي ألفت عن أبي الطيب في القديم والحديث ، كثيرة
جداً ، منها الجيد البارع ، ومنها الغث الضحل ، حتى طلع علينا مؤخرآء ،
جهذان من فحول الأدب بكتابتيهما عن المتنبي ؛ أحدهما فرنسي والآخر
عربي ، وأما العربي فهو الدكتور طه حسين رحمه الله ، وذلك في كتابه
مع المتنبي والكتاب مؤلف من جزأين كبيرين ، ودراسته فيها جيدة ،
غير أنه أتى على أمور تتعلق في نسب الشاعر وهي قائمة على التخمين وتحتاج
إلى مناقشة ، وليس من داع الإسهاب فيها ، وكتاب الدكتور في الأسواق ،
ويمكن الرجوع إليه .

أما دراسة الأستاذ المستشرق بلاشير التي قام بترجمتها الدكتور إبراهيم الكيلاني ، فهي دراسة عميقة عن الشاعر العربي الكبير ، فيها الموضوعية ، والتركيز ، والبحث الجاد المستفيض ، القائم على النصوص وعلى المصادر التاريخية .

قام الأستاذ بلاشير بتقصّ دقيق للمجتمع الإسلامي الذي عاش فيه المتنبي ، وأتى على ذكر الأحداث السياسية التي عصفت به ، مبيّناً أولية الشاعر ، والأثر الذي تركه في نفسه ، واستعرض سيرته ، متكلماً عن طفولته ونشأته ، وإقامته في البادية ، ثم عودته إلى الكوفة ، وأتى على ذكر أولية أبي الطيب في الشعر ، وعلى محاولته الشعرية في بغداد والشام ، وكيف أخذ يمدح بادية بدء صغار الأمراء ، إلى أن انتقل إلى وسط الحمدانيين ، حيث حكم عليه قدره ، أن لا يكون أكثر من مداح ذي موهبة كبري في تاريخ الإنسانية ؛ ثم أتى على ذكر سيرة المتنبي عند كافر في مصر ؛ وهربه منها إلى بغداد ، ثم سفره إلى فارس وموته بها ؛ ولم يغفل الكاتب عن الإشارة إلى ديوان المتنبي في الأوساط العربية ، وفي العالم العربي الحديث ، وأنهى الأستاذ بلاشير دراسته بفصل قيم عن المتنبي ومنزلته لدى المستشرقين .

والدراسة بمجموعها بناء فكري شامخ ، يستحوز على إعجاب القارئ وإكباره ، سواء في الدقة العلمية ، أم في التحليل الموضوعي المركز .

هذا ، وفي الكتاب الاستقصاء الدقيق ، والتحليل المقنع يضاف إلى ذلك جرأة المؤلف الأدبية حين يُقَوِّم شعر المتنبي بالنسبة لمفهوم المستشرقين ولذوق الأديبي الأوروبي .

فالأستاذ بلاشير ، لا ينكر على المتنبى مرتبة الشرف التي تبوأها في الشعر العربي ، فيما إذا قُورن شعره ببقية الشعر العربي ، في حين أنه لا يستوي محله مع كبار شعراء الفرنجة أمثال هوغو ودانتي وغيرهم ، كما أن بلاشير لا يجد عند المتنبى من سعة الخيال ما كان عند ابن الرومي ، ومع هذا فإنه يرى به ساحراً من مَحَرَّة الكلمة ، إذ أجاد بكثير من الفن صقل الألفاظ ، واستطاع أن يشرف أفكاراً سطحية بما خلع عليها من حلال قشبية .

وسواء أسامنا بقول الأستاذ المستشرق أم لم نسلم ، فإن الدراسة ذاتها ، كانت من أجلّ الدراسات الأدبية ، وإن في الترجمة التي اضطلع بعينها الدكتور الكيلاني البراعة الكبيرة ، والجهد المشكور ؛ ولا يسع القارىء إلا ترجمة الشكر للمؤلف والمترجم على السواء .

عدنان مردم بك